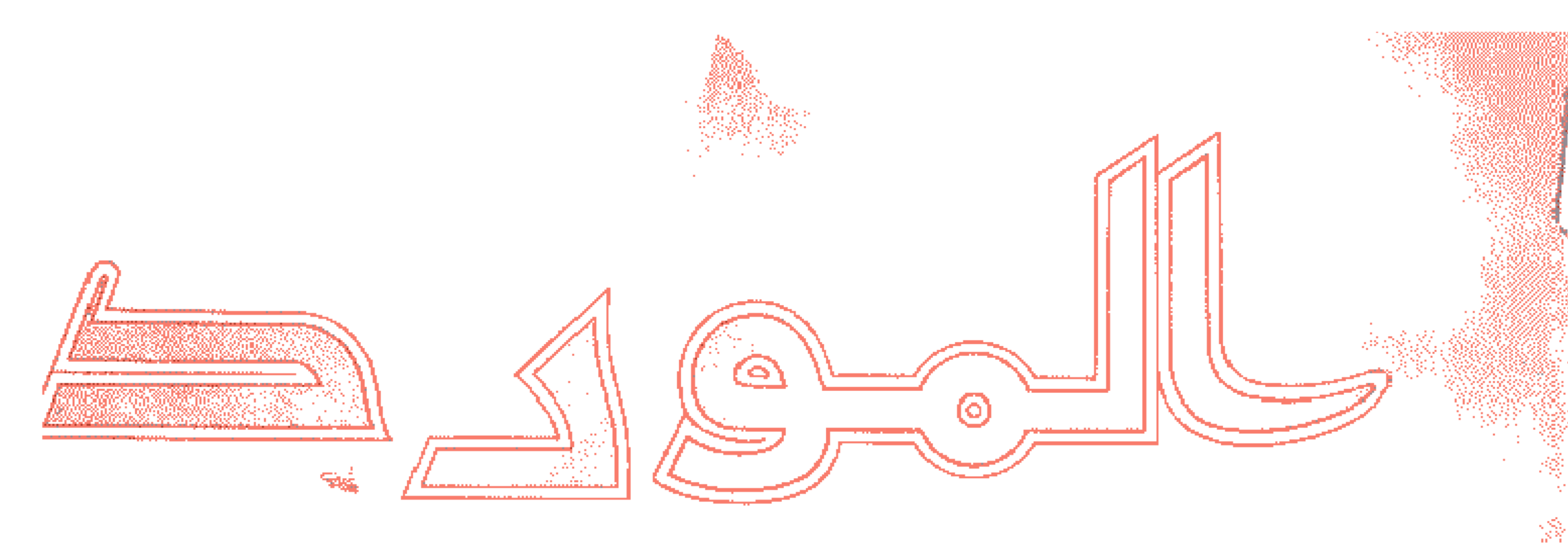
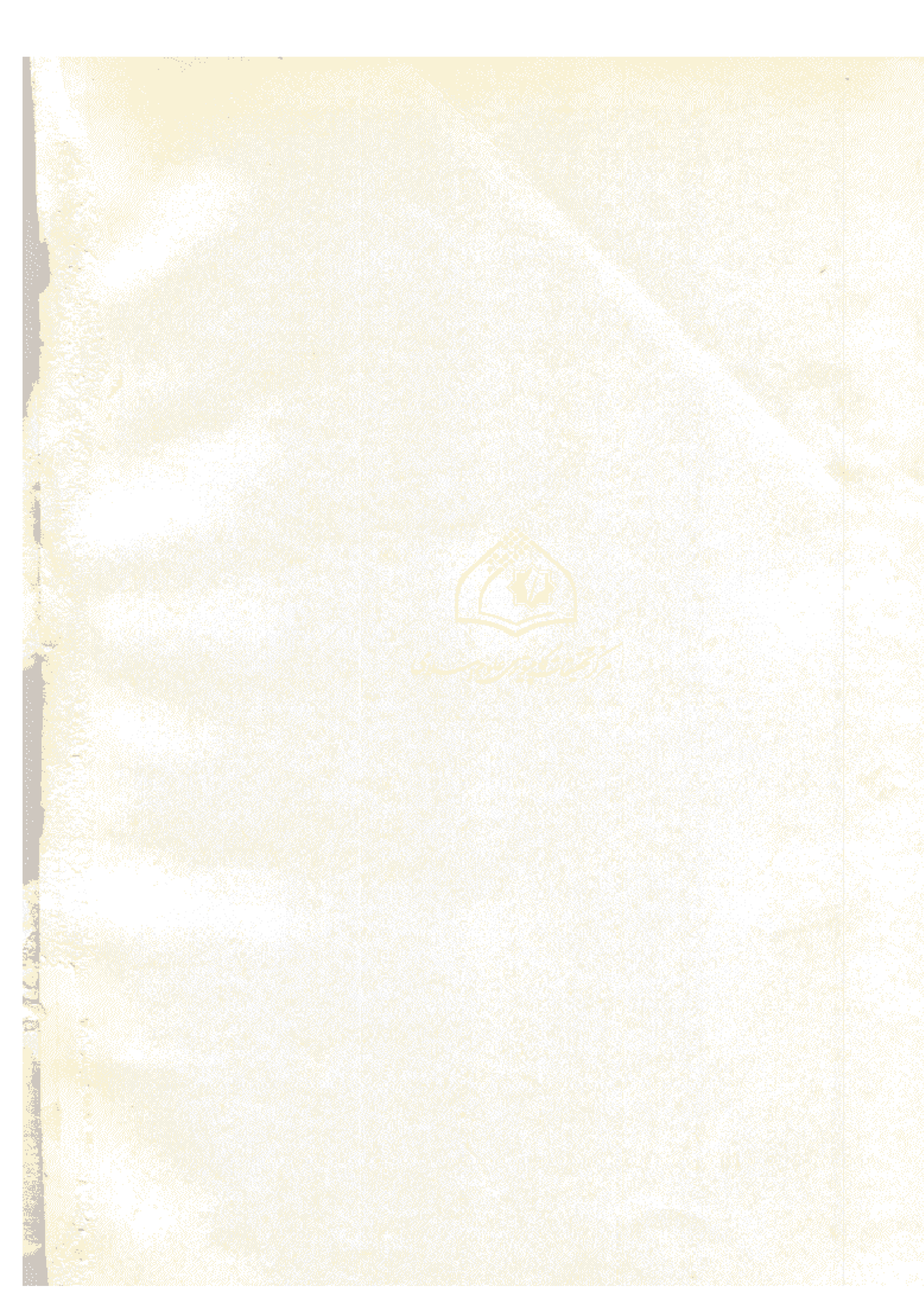


ـلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ـ المجلد الثالث ـ العدد الرابع ـ ١٩٧٤





المورد المجلد الثالث ١٩٧٤ العدد الرابع

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤

خِدمَةُ الأُمَّةِ نَتِيجَةٌ لِلفَائِدَةِ المُتَوخَّاةِ مِنَ الكُتُبِ
الَّتِي تَحفَظُ التُّراثَ وَتَبعَثُ مَجدَ الأَجدَادِ .

احمد حسن البكر


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


المورد
مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الأعلام - الجمهورية العراقية



المحتوى

الابحاث والدراسات

النصوص المحققة

فهارس المخطوطات والببليوغرافيات

العرض والنقد والتعريف



الخطيم المحرزي

حياته وما تبقى من شعره

صنعة

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

هو الخطيم بن نويرة العكلي من بني عبشمس ، ويغلب عليه المحرزي ، من لصوص العرب وشعرائهم . ويكتفي ياقوت في بلدانه وهو يستشهد بأبيات من شعره بتسميته بالخطيم العكلي(1) . وينعته في مواضع أخرى بالخطيم اللص(2) أو الخطيم المحرزي(3) . ويكتفي صاحب الحماسة بالخطيم(4) وهو يورد له ثلاثة أبيات من لاميته . ويورد له صاحب الحماسة البصرية أبياتا من لاميته ويقدم لها بقوله : وقال الخطيم أحد بني عبد شمس ثم المحرزي أحد اللصوص(5) ويكتفي صاحب منتهى الطلب وهو يورد أكبر مجموعة شعرية له وهو يقدم لبعض قصائده بقوله : وقال الخطيم المحرزي ، من بني عبشمس ، وهو من اللصوص(6) .

ان هذه المقدمات التي قدم بها شعره لا تخرج عن هذه التسميات ، ولا تحدد لنا أكثر من دائرة اسمه ولقبه وحرفته التي عرف بها وقبيلته التي ينتمي اليها .

وعكل التي ينتمي اليها الشاعر هي عكل بن أد ، وقد ظهرت الى بلاد نجد وصحاريها فحلت منازل بكر وتغلب ، التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم مضت حتى خالطت أطراف هَجر ، ونزلت ما بين اليمامة وهجر(7) .

وفي شعر الخطيم اشارات كثيرة الى مواضع في الدهناء(8) ، ويبدو أن حركته كانت في اطار هذه المواضع ، أو حنينه كان يطوف به حول هذه الامكنة ، لان اخباره تحدثنا بانه سجن بنجران ، وان مكوثه في هذا السجن قد امتد وطال حتى أوشك اليأس أن يتسرب الى نفسه ، فخابت آمال العودة في نفسه ومات رجاء الرجعة الى بلاده :

أُتيح لذي بثٍّ طريدٍ تعوده
همومٌ اذا ما بات طارقها يسري
بنجران يقري الهم كل غريبة
بعيدة شأو الكلم باقية الاثر
يمثلها ذو حاجة عرضت له
كئيب يؤسّى بين قرنةَ والفهر
فقال وما يرجو الى الاهل ردةً
ولا ان يرى تلك البلاد يد الدهر

وتأخذ عكل امتدادات مختلفة في تطور الاحداث القبلية ، لانها تشكل نقطة كبيرة ومجالا رحبا من مجالات القدرة على تقديم مجموعة كبيرة من الشعراء اللصوص الذين عرفوا بانتمائهم لعكل أمثال السمهري العكلي وجحدر العكلي وغيرهما ممن عرف بهذه النسبة وشهر بهذه المهنة . ولابد أن تختفي وراء هذه الظاهرة مجموعة من الاسباب التي دفعت أبناء هذه القبيلة الى اتخاذ هذا السلوك والاندفاع وراء هذه الحرفة ، حتى أصبحوا من نزلاء السجون ، وهواة التشرد ، وجماعات المفتربين . ولعل دراسة مفصلة لاحوال هذه القبيلة ، ولاحوال هؤلاء الشعراء . تكشف عن النوازع الحقيقية التي كانت تختفي وراء هذه الحركة الواسعة .

ومن الجائز أن يكون لموقع منازل « محرز » وهي قريبة من قوافل التجار ، قد جعلت هذه القوافل في متناول أيديهم . فكانوا يجدون فيها متاعا كثيرا ، وربحا وفيرا ، وزادا يسدون به غائلة الجوع ، فيكفيهم مأونة الفاقة والحاجة . الى جانب معرفتهم العريقة بمسالك الطرق ، ومخابيء الاودية التي تخفيهم عن أنظار السلطة ، وتجعلهم في حرز عن العقاب . مما يقوي فيهم النزعة الراغبة الى سلوك هذا المسلك . وربما تصاحب هذه العوامل عوامل أخرى يبرز فيها العامل الاقتصادي بشكل واضح ، وتتمثل عناصره بقدرة شامخة فيضاف هذا العامل الى العوامل المتقدمة لتاخذ نمطا حياتيا بارزا في حياة هذه القبيلة ، لتمسح عنها وجه كآبتها ، ويدفع عنها ذل حرمانها .

ان هذه العوامل مجتمعة أو منفردة . لا يمكن أن تنفصل عن العوامل الاخرى التي تدخل في اطار الطموح السياسي ، أو النزوع القبلي ، أو الشعور بالحرمان مما يجب أن تكون فيه هذه القبيلة .. هذه العوامل كلها أو بعضها قد تدفع بصورة فردية أو جماعية لتجد في نفوس هؤلاء هوى يحملهم هذا المحمل ، ويدفعهم الى هذا السلوك .

---

(1) ياقوت . معجم البلدان ٢٤٤/٢ ، ٢٩٩/٣ ، ٧٣٦/١ ، ٧٣٠/٣ ، ٧٠٣/١ .
(2) ياقوت . معجم البلدان ٤٤٣/٤ .
(3) ياقوت . معجم البلدان ٨٥٦/٢ .
(4) أبو تمام . الحماسة ١٨١٥/٤ ويسميه « حطيم » وهو تحريف لان الهامش يذكر انه عند التبريزي الخطيم .
(5) البصري . الحماسة البصرية ٣٥٩/٢ .
(6) ابن مبارك . منتهى الطلب من أشعار العرب الورقة ١٢١/
(7) البكري . معجم ما استعجم ٨٨/١ .
(8) ياقوت . معجم البلدان ٣٤٤/٢،٢٩٩/٣،٤٤٣/٤،٥٧٠ .

وكما اخذت « عكل » هذا الامتداد البارز في هـــذا الجانب ، فهناك جانب آخر كانت عكل فيه بين ظاهرتين مــن ظواهر التضاد المخالفة . فالجاحظ يذكر ان في عكل من الشرف والفضل ماليس في ثور(٩) . ولكنه يورد بعد هذا التقويم لعكل مجموعة من الابيات الشعرية ، وفي مواضع مختلفة تحط من قيمة عكل ، وتضعها في موضع يناقض الموضع الذي وضعـــوا فيـــه .

فهو عندما يستشهد بأبيات لخلف الاحمر في هجاء قوم ، نجد الشاعر في « عكل » صورة من صور الهجـــاء البـــارزة فيقول(١٠) :

أناسٌ تائهـــون ، لهــــــم رُواءٌ
تَغيمُ ســــماؤهم من غـــير وبْـــل
اذا انتســـبوا ففـــــرع من قريش
ولـــكن الفعـــالَ فعـــالُ عـــكل

وخلف في بيته الثاني يريد بعكل الغبـــاوة وقلة الفهم ، حتى يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق عكلي(١١) . ومما يؤكــد هذه الصفة ان كثيرا من الشعراء استشهدوا بهم في هـــذا الموضع . وقد أورد الجاحظ شعرا في العنكبوت للحداني وفيه يقول(١٢) :

يزهدني في ود هـــــارون أنـــــه
غذتـــه بأطبـــاء معلَّنـــة عُـــكلُ
كأن قَفَـــا هـــارون اذ قام مدبـــرا
قفا عنكبـوت ســـل من دبرهـا غـزل

واقترنت عكل بالشؤم عند شـــاعر آخر فقال(١٣) :

ولدت بحادي النجم تســـعى بســـعيه
كما ولدت بالنحس ديانهـــا عـــكل

ان هذا التضاد الذي يجمع بين الشرف والفضل اللذين عرفت بهما هذه القبيلة وهو فيها أكثر من غيرها . وبين هذه الغباوة وقلة الفهم ، والنحس والشؤم . التي رميت بها تمثل ظاهرة من الظواهر التي ساهمت الى حد كبير في هذا الوضوح الذي عرفت به ، باعتبارها مستودعا ثرا من المستودعات التي قدمت هذه المجموعة الكبيرة من الشعراء الذين لونت حياتهم بهذا اللون الذي لا نستطيع ان نحدد طبيعته أو نقرر تأكيده . لان امثال هذه الدراسة توجب التفرد في بحث القبيلة وحركتها وموقعها واتصالها بالقبائل الاخرى وعلاقتها بالدولة ووضعهـا الاقتصادي وهي دراسة لا اجد مجالا لها في هذا المكان الـذي يعرض لحياة شاعر واحد من شعرائها .

ان دراسة اولية لما عثرنا عليه من أبيات يمكن ان تضع خطوطا كبيرة ، واشارات مركزة لاهم الاحداث التي كانت تعتري حياة هذا الشاعر ، فهو مسجون في سجن نجران ، يستعطف قومه ، وفي هذا الاستعطاف لمحات تومض بالتخلي الذي ارتسمت أمارته على أبناء قبيلته ، وطلبت منه الفدية والرهينة فلم يجد أحدا يعطي من ماله ما يعيد اليه حريته ويجعله في عـــداد الطلقاء من الناس . وهو في هذا الموقف يتحدث بمشـــاعر رقيقة ويستعطف بأسلوب تترقرق فيه الانسانية الضائعة في نفسه فيقول :

بنى محرز هل فيكم ابن حمية	يقوم ولو كان القيام على جمر
بما يؤمن المولى ومايراب الثاى	وخير الموالي من يريش ولايبري
كما أنا لو كان المشــرد منــكم	لابليت نجحا أو لقيت على عذر
لاعطيت من مالي وأهلي رهينة	ولاضانِ بالاصلاح مالي ولاصدري

وهو رجل له منزلته في قومه ، لانه عندما يخاطب قومـه يخاطبهم بايمان ، ويتحدث معهم بصراحة متناهية ، فهم ــ اذا لم يحاولوا انقاذه ــ سيجهدون انفسهم في سبيل الحصول على خليفة يحل محله ، اذا نابتهم نائبة ونزلت بهم جســـيمات الامور .

بني محرز من تجعلون خليفتي	اذا نابكم يوما جسيما منالامر
بني محرز كنتم وما قد علمتم	كفادية خرقاء عيت وما تدري

ان الاخبار التي بين أيدينا لا تكشف عن النشأة الاولى لحياة هذا الشاعر ، ولا تحدد من المعالم ما يعطي لهـــذه الشخصية بعدها الحقيقي او القريب من الحقيقي لان اخباره نادرة ، وحياته غير معروفة ، ومن الطبيعي ان تكون حياتـــه وحياة غيره من الشعراء اللصوص غير معروفة لانها حيـــاة تشرد ، يسودها القلق ، ويغلب عليها الضياع ويملأ ظواهرها البؤس ، ومثل هذه الحياة لا تتوفر لها القدرة على الوقوف للمجابهة ، ولا تتوفر لها الامكانيـة لتأخذ مكانها الادبي الا اذا توفر لها من يهتم بابراز مظاهرها أو يجمع شعر شعرائها أو يتحدث عن البناء الشعري الذي طبع به هذا الشـعر . أو ينتفع منها في تحديد دراسة معينة(١٤) .

وشعراء اللصوص شعراء احاطت بهم ظروف معينة لونت شعرهم بالوان خاصة ، وميزته بميزات لها طابع معين . ودفعتهم الى انتهاج منهج شعري تألق فيه اسلوب واضح ، واستخدمت فيه عبارات محددة ، واختيرت له الفاظ ومعان تحمل التأثر الحقيقي لهم ، وبناء شعري له قواعد واصول ثابتة ، وتداخلت في شعرهم نوازع انسانية واخلاقية واضحة يغلب عليها طابع الخوف والذعر ، ويتجلى في معانيها الشعور بالاغتراب القبلي والمحلي والنفسي وترتسم في صياغته النوازع الصادقة في كل ما يدعو الى الحنين أو يتصل به .

والشعراء اللصوص لا ينسون ــ وهم في غمرة أحاسيس الالتصاق الوجداني كبرياءهم واباءهم والتزامهم الاخـــلاقي بما يحقق لهم الاندماج أو التوافق مع المجموعة التي يشعرون بانتمائهم اليها قبليا أو يخضعون لها اجتماعيا ... فكانت صور الكرم وهو يصل الى أبعد مراحله ، والشجاعة وهي تتسع لاكبر مساحة من الاقدام ، والتضحية والايثار وهو يأخذ أعمق بعد من ابعاد شموخه وتعاليه .. هذه المعاني ، وما يدور فيها كانت تأخذ صورتها اللامعة في شعرهم ، وتملأ حقولا كبيرة من حقول تحركهم عاطفة وإنطلاقا وقدرة .

وعلى الرغم من هذه المقاطع القليلة التي تمدنا بها المظان القديمة أو تجود بها كتب المجاميع ، الا اننا نستطيع ان نتلمس ان تيارات شعرية لها اصولها الشامخة تأخذ مجراها وانسيابها

(٩) الجاحظ . الحيوان ٣٦١/١ .
(١٠) الحيوان ٢٨٥/٥ .
(١١) ابن منظور . لسان العرب [عكل] .
(١٢) الحيوان ٤١٠/٥ .
(١٣) الحيوان ٩٤/٦ .

(١٤) تشير المصادر الى ان الجاحظ صنع كتاب اللصـوص الحيوان ١٥٦/٢ وصنع السكري أشعار اللصـوص معجم الادباء ٣٠٧/٦ ولم تصل الينا .

وتحديها في شعر هذه الجماعة بحيث تطغى على كل شعر ، وتبرز في سياق كل ظاهرة أدبية بروزا يعطيها القدرة على الصمود ، ويمنحها الافضلية في الثبات والالتزام .

في أخبار الخطيم تبرز مجموعة من الاسماء التي تكاد تكون اخبارها غير متميزة الا بعض الاعلام التي استطعنا من خلالها ان نحدد فترته التي عاش فيها ، لان الكتب لا تحدد لنا اية علامة من علامات حياته .. ولولا قصائده التي يستعطف بها سليمان بن عبدالملك [امتدت خلافته بين سنتي ٩٦-٩٩] لما استطعنا ان نعلم الزمن الذي عاشه هذا الشاعر ولا الفترة التي انحصرت فيها حياته . ويعرض في استعطافه هذا الى يزيد بن المهلب الذي استجار بسليمان بن عبدالملك . فأجاره(١٥) . ويتخذ منه أسبقية محمودة في الاستجارة . وهي أبيات تومي بما كان يتصف به هذا الخليفة من التزام .

أعذني عياذا يا سليمان انني
اتيتك لما لم اجد عنك مقعدا
لتؤمنني خوف الذي انا خائف
وتبلغني ريقي وتنظرني غدا
فرارا اليك من ورائي ورهبة
وكنت أحق الناس أن اتعمدا
وأنت امرؤ عودت نفسك عادة
وكل امريء جار على ما تعودا

ويتضح تأثر المتنبي الشاعر بالبيت الاخير تأثرا واضحا في بيته المشهور .. لكل امريء من دهره ما تعودا .

تعودت ألا تسلم الدهر خائفا
أتاك ومن آمنته أمن الردى
أجرت يزيد بن المهلب بعدما
تبين من باب المنية موردا
ففرجت عنه بعدما ضاق أمره
عليه وقد كان الشريد المطردا
سننت لاهل العدل في الارض سنة
فقار بلاء الصدق منك وانجدا
وأنت المصفى كل امرك طيب
وأنت ابن خير الناس الا محمدا
وأنت فتى أهل الجزيرة كلها
فعالا وأخلاقا واسمحهم يدا

ونفس الشاعر في هذه القصيدة نفس أصيل ، وتمكنه في أبياتها تمكن شاعر مقتدر ، ورقته في اظهار عاطفته رقة أصيلة .. استطاع من خلال ذلك ان يقدم صفحة متكاملة من الاستجارة ليأمن على نفسه ، ويبعد الرهبة عنها ، ويتمتع بما يتمتع به الآخرون .

والخطيم المحرزي شاعر كونته البيئة الشعرية العربية الكبيرة التي حفل بها العصر الاموي ، عصر الزهو الادبي ، الذي تسامت فيه الاصالة العربية شموخا واتساقا ولابد ان تمتد الى شعره ملامح التأثر الذي بسط رفعته على كثير من الشعراء فتاخذ مكانها المباشر أو غير المباشر في سياق قصيده الشعري على الرغم من المحاولات الكثيرة التي برزت في هذا الشعر لاخراجه عن الدائرة التي كانت تدور فيها القصيدة التقليدية .. لان أمثال هذه الملامح لا يمكن ان تختفي مادامت اصولها قد وجدت مجالا في اي بعد من أبعاد البناء الذي امتلك ناصية الشعر في المراحل الاولى .. ففي حديثه عن نفسه وعما يعتريه من شحوب يعرض لذكر مجموعة من أسماء النساء مثل (أمامة)(١٦) والحارثية(١٧) وعزّة(١٨) وأم مالك(١٩) وهي أسماء غير حقيقية وانما هي رموز أراد من خلالها أن يتحدث عن خصائص وصفات لازمته ، وهي محاولة من محاولات الشعراء القدامى في تجريد صورة المرأة تجريدا واضحا ، واظهارها بالمظهر الساخر من شحوبه ، وتقدد قميصه ليتخذ هذا المنفذ مجالا يشير فيه الى حبه الصادق ، ووفائه المخلص ، وانصرافه الكلي وجرأته وقدرته ، ونقمته التي لم تترك له أحدا من الاصدقاء(٢٠) :

وقائلة يوما وقد جئت زائرا
رأيت الخطيم بعدنا قد تخددا
أما أن شيبي لا يقوم به فتى
اذا حضر الشح اللئيم الضفندد(٢١)
فلا تسخري مني أمامة ان بدا
شحوبي ولا أن القميص تقددا

ان نزعة الاعتزاز والاباء والتفاخر بالمجد نزعة اصيلة عند هؤلاء الذين حاولوا ان يثبتوا وجودهم الحقيقي من خلالها ، ويؤكدوا التزامهم المطلق بها . فتناثرت صور هذا الاعتزاز في أبياتهم من اباء للضيم واكرام للضيف واطعام للجائع ودفاع عن حق القبيلة حتى اصبحت هذه النزعة طاغية . فاتخذها الخطيم مطلعا من مطالع شعره ، ليوفق بين غرضين استحكما في نفسه وعرضا له أو اضطر الى أن يعرض لهما فهو مسجون يلاقي في سجنه الحرمان والغربة والوحدة ، ولابد ان يستعطف قومه لعلهم يخفون لنجدته ، ويسرعون لانقاذه وهو أبي يرفض الاستعطاف ، ويرفض التذلل . ولابد ان تتصارع هذه النزعات في نفسه ، وتتنازع عوامل الاندفاع في حياته ، ولكنه مضطر الى ان يعلن غربته القاتلة . وقد تصورت له دواعي الشؤم مجسدة ، تكشف له عن النأي الطويل بعد أن مرت عائف الطير سانحة ، وشرها ما كانت — في عرفه — سانحة وقد مرت بفكره الذكريات التي لا ينساها . ومن الطبيعي الا تكون منسية ، لان الذكريات اقترنت بعيون التي عز لقاؤها ، وهي تعيد

(١٥) في خبر طويل يورده الطبري في تاريخه ٤٤٨/٦ يذكر انه في سنة تسعين هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم ، فلحقوا بسليمان ابن عبدالملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبدالملك . فأمنهم وأجارهم .

(١٦) تنظر قصيدته الدالية / البيت الثالث .
(١٧) تنظر قصيدته الدالية / البيت السادس .
(١٨) تنظر قصيدته الدالية / البيت السابع .
(١٩) البيت / ٣٠ .
(٢٠) ينظر كتاب دراسات في الشعر الجاهلي للمحقق ففيه دراسة مفصلة عن الحوار في القصيدة الجاهلية ، ويمكن اعتبار هذه الظاهرة عند الشاعر امتدادا لوجودها عند الشعراء الجاهليين .
(٢١) الضفندد : الرجل اذا كان مع الحمق كثرة لحم وثقل .

السلام بعد ان طلبت منه ألا تكون الرحلة بعيدة . وقد حالت بعينها عبرة حائرة .. وهي محاولة اخرى من محاولات الحوار التي ادخلها الشاعر في قصيدته ليعطيها بعدا جديدا ، ويحرك موضوعاتها تحريكا يدخل على القصيدة عنصر التجديد . ولتترك للشاعر مجالا واسعا للحركة تمكنه من التعبير عن المدلولات الواقعية التي تجد نفسها قادرة على السيطرة عليه .

اما الهموم التي شغلت حياة هذه الفئة ، فهي هموم لها مدلولها النفسي والاجتماعي والوجداني . وقد اخذت عليهم جوانب محسوسة من حياتهم . واعاروها قدرا كبيرا من مشاغلهم ، لانها تنبعث عند كل ظاهرة يلتقون بها . وتكبر في ظل كل دائرة يشعرون بضيقها عليهم . ولا اجد نفسي مبالغا اذا قلت ان همومهم كانت هموما لها معاييرها الخاصة التي لاتشاكل هموم الآخرين باتصالها المستمر وامتدادها الذي لا ينتهي ، وخضوعها لاجوائهم النفسية الخانقة . حتى أصبح لهم في حياتهم لونا مغايرا ومنزعا غير مألوف بالنسبة لهموم الاخرين.

لقد اقترن الهم عند هؤلاء الشعراء بتحرقهم نحو الارض والوطن . وتحرقهم هذا مشوب بالالم ومصحوب بالمشاعر التي تلمس عند كل الشعراء المرتبطين بالارض ، المشدودين بعوامل الالتصاق الوجداني بكل ما يدعو الى الارتباط والتفاعل . فالارض ليست مطلقة في وجدانهم ، وهي ليست مجردة تضم احجارا او كثبان رمل ترسم على صفحاتها الرياح اشكالا هندسية متناسقة او مضطربة .. أو كومة تلال متباعدة حرمتها الطبيعة حتى من ابسط مظاهر الخضرة .. الارض عندهم بضعة من النفس تعيش فيها الذكريات والآمال ، ويعيش فيها الزمن الذي يقدسه العربي ، لانه ملكه الذي لا يتجرد عنه ، وحقه الذي يحرص عليه اشد الحرص . ان الربط بين الارض والزمن والحياة معادلة متكاملة في حياة العربي . اخذت زواياها الحقيقية في وجدانه صورة براقة . ووجدت أشكالها الانسانية ملمحا مشرقا في التعبير عن نفسه . فاتحدت الابعاد والاشكال في نفسه مشاعر استطاع أن يحيكها قصيدا تتعالى فيه احاسيسه التي تبرز هذا الارتباط . وما صورة البيت الشعري الذي حرص عليه الشعراء ــ وشاعرنا منهم ــ الا نموذج من تلك النماذج التي تظهر قوة الشد التي ملكت على الشاعر بواعث الالتصاق فرددها بكل كبرياء وعبر عنها بكل طلاقة ..

« ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة »

فالليلة التي تمناها الخطيم هي الليلة التي تمناها كل الشعراء ، وهي الليلة التي ظلت احلامهم مشدودة في سوادها ونجومها وهدوئها وصفائها وروعتها ، وظلت آمالهم الكبار معلقة في كل حركة من حركاتها توسموا فيها الشبح الزائر ، والظل الحائر ، والنفس التائهة ، والهمسة الموحية . والصمت المعبر . فعاشت في نفوسهم طويلة طول الامد ، بعيدة بعد الراحة التي ينشدونها . حلوة حلاوة الاستقرار الذي راودهم وهم في رحاب الارض العريضة التي تواثب فيها القلق وارتمى في جنباتها الخوف . وظلت هذه الليلة التي تمنى ان يبيت فيها صورة معبرة عن الطموح النفسي ، والنزاع الوجداني الذي استحكمت اصوله في نفوس هؤلاء الشعراء غربة وحنينا وتوجعا.

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة
باعلى بُليٍّ ذي السلام وذي السدر
وهل اهبطن روض القطا غير خائف
وهل أصبحن الدهر وسط بني صخر

وهل أسمعن يوما بكاء حمامة
تنادي حماما في ذرى نصب خضر
وهل أرين يوما جيادي أقودها
بذات الشقوق أو بانفائها العفر

لقد كان يحز في نفسه الا تسمع صرخته أو يفك أسره ، وهو يعاني الغربة والتشرد ويندب قومه بصيحات تتفجر فيها آهات التوجع . وتتعالى عواطف الارتباط القبلي التي كان يشعر بها وهو في حيرته الضائعة ، وغربته المؤلمة . يقف عند هذه الظاهرة يستصرخ ويدعو .. ثم يضع نفسه موضع المستصرخ الذي دُعي . فتتألق خصائله الاصيلة ، وتتوقد في نفسه نوازع الاندفاع الحقيقي فيكون بين اثنتين ، اما نجحا يعيد اليهم مكانتهم المرموقة ، أو الموت الذي يجد فيه العذر . وتلك هي فلسفة هؤلاء الناس . وهي الفلسفة التي تجلت عند الشنفرى وتابط شرا وعروة وكل قافلة الصعاليك واللصوص الذين تحملوا تبعات الالتزام ، وأخذوا على انفسهم كل مأخذ يحقق التتابع الصائب لقدرة التعامل ، ويفرد الصورة الواضحة لما ادرك من معطيات متفاعلة مع كل نزعة خيرة متمثلة في سلوكهم .. فهي فئة عشقت الحياة ، وعشقت الحرية ، وعرفت السر الذي يقف خلف كل عتبة من عتبات الدنيا .

ان تأثر هذه المجموعة من الشعراء بافكار خاصة أو معان معينة لم يقف عند هذا الحد ، وانما هو تأثر شامل يتوزع في اطارين متكاملين ، اطار المضمون الذي يحمل الفكر ، واطار الشكل الذي يعبر عن ذلك الفكر .. فالصعاليك ــ كما هو معروف ــ وقفوا عند حديث حيوانات معينة لازمتهم في أوصافهم واستشهاداتهم . وخاصة تلك التي تكنس القبور وتولع بالتفتيش عن الجثث . واشارة الخطيم الى الوحش التي تكنس القبور هي اشارة اخرى من اشارات التأثر ... وهذه الوحوش على الرغم من صفتها الملازمة هذه فهي لا تستطيع ان تبعد بينه وبين قومه حتى اذا ابعدت بين قبره وقبورهم ، فهو منهم روحا والتصاقا ، وهم منه اصولا وقبيلة ، تشد بينهم الاواصر ، وتربط بين مصالحهم دواعي الحياة .. فهو الذي انهى عنهم الظلم ، ودافع عنهم باليدين والنحر ، واجهده التعب اذا خصم ادل عليهم ، فلم يتركه الا وشد له ازره بسنان استعد له ، ولسان لم يصبه العي ولا الهذر ..

بني محرز ان تكنس الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قبوركم قبري
فقد كنت أنهي عنكم كل ظالم
وادفع عنكم باليدين وبالنحر
معنى اذا خصم ادل عليكم
بني محرز يوما شددت له ازري
بحد سنان يستعد لمثله
ورقم لسان لا عييٍّ ولا هذر

ان التصاقهم بالارض والوطن ، كان التصاقا حقيقيا ، لانهم وجدوا في الارض طيبا ، ولمسوا بين وديانها عطاء ، فنما حبها نماء انسانيا خالصا ، وتجسدت الوانه تجسدا حيا ، واصبح عليهم عزيزا ، لا يقوم مقامه شيء . فوديانه التي نشأ فيها ومواضعه التي ترعرع في جنباتها أحب اليه من اية ارض اخرى ، .

أواعسُ من بَرْتٍ من الارض طيـــب

وأودية ينبتن ســـدرا وغرقـــدا

أحب الينا من قرى الشـــام منـزلا

وأجبالهـــا لـو كان أن اتـــوددا

لم تحل طبيعة الشعراء اللصوص المتشردة وتفردهم المؤلم دون مراعاة عواطفهم التي كانت تنساب رقيقة صافية خالصة ، تدفعهم اليها الملاحة والنقاء ، ويحملهم عليها الخفر والخصائص البدنية التي احبوها ، ووجدوا فيها مدعاة للاعجاب والهوى .. وهواهم اصيل مثل طباعهم ، تمتد جذوره امتداد الزمن ، وترعى اصوله رعاية الصدق الذي عرفوا به . ولهذا كان هيامهم هياما لا يعرف احدا ، ولا ينتهي عند زمن ، فالخطيم يهيم بذكر حبيبته ما يحيا ، واذا انتهى هام بها الصدا .. وهي صورة فريدة من صور الاخلاص التي ترسخت حدودها عند هؤلاء الشعراء ، وصورة من صور الوفاء التي التزموا بهـا التزاما مطلقا لا يعرف الانقطاع ولا يعرف الفناء . فالفنـاء عنده قائم ، يجدده الصدى ، وتجدده الذكريات ، ويجدده الاخلاص القادر على استيعاب المعنى الاصيل لهذا الوفاء .

يهيم فؤادي ما حييت بذكرهـــــا

ولو انني قدمت هـام بهـا الصـــدا

ان الينابيع الصافية للحب العذري الصادق تفجرت في نفس شاعرنا اخلاصا وصدقا وعاطفة وأخذت شكلا من اشكال الحب الذي عرف في هذا العصر ، واتسعت آفاقه عند كثير من الشعراء العذريين . والحب عند الخطيم حب أصيل تجلت حقائقه مشاعر وجدانية تتسق مع ما عرف به من رقة وعاطفة ..

فلا والذي من شـــاء أغوى فلم يكن

له مرشـــدٌ يوما ومن شـــاء أرشـدا

يمينُ بـــلاءٍ ما علمـــت بســـيءٍ

عليها وان قـال الحسـود فاجهـــدا

واني لمشـــتاق الى الله اشـــتكي

غليل فؤاد قـــد يبيـــت مســـهدا

وما لامني في حب عـــزة لائــــم

من الناس الا كان عنـدي مـن العـدا

ولا قال لي أحســـنت الا حمـــدته

بما قال لي ثم اتخـــذت لـه يـدا

فلو كنت مشـــغوفا بعـزة مثـل مـا

شغفت بها ما لمتني يا ابن اربـــدا(٢٢)

ورحلة الشاعر رحلة طويلة ، لانها لا تنتهي ، وغربتـه بعيدة لانهـا لا تتوقـف عنـد حـد . ولهـذا كـانت ناقته اذا وثبت من مبرك غادرت به دما من خف راعف ، . وهي ناقة قوية تقوى على قطع المفاوز ، سريعة لا يجهدها الكلال الذي تحدث عنه في شعره . وقد قدم الشاعر مجموعة من الصور التي أكد فيها هذه المعاني وهي صور تنصب على وصف الراحلة دون ان يعرض لنا في أوصافه ما كان يقف عنده الشعراء التقليديون من لوحات ، فقد عودنا اولئك الشعراء على الالتزام بذكر الالواح

(٢٢) ابن اربد علم ورد في شعره ويبدو ان الشاعر قد اتخذه رمزا للعاذلين .

متسلسلة حتى يصلوا الى لوحة الصيد التي تعتبر المركـز الموجه لابراز قدرة الناقة على الاستمرار أو الانتهاء .. ويمثـل لبيد والنابغة وزهير هذا الاتجاه بصورة واضحة .. ان لوحـة الناقة عند الخطيم لوحة مفردة لها خصائصها وميادينهـا ، وقد أصبحت بعض اجزائها صورة بارعة من الصور التـي يستشهد بها أصحاب الاساليب(٢٣) .

مصادر شعره :

يُعد كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، المصدر الاول من مصادر شعر الخطيم لانه قدم لنا أكثر من مائة وخمسـين بيتا وهذا العدد من الابيات يشكل الجزء الاعظم من شـعره ، لان ما توفر لدينا من ابيات لا يزيد على هذا العدد بأكثر من خمسة عشر بيتا فقط . ولم تكن هذه الظاهرة غريبة بالنسبة لمنتهى الطلب لانه يعد أضخم مجموع شعري في الادب العربي ، وأكبر ذخيرة من ذخائر التراث التي احتفظت بهذا القـدر العظيم من الشعر . ففيه ألف واحدى وخمسون قصيدة وتسع وعشرون مقطوعة ، عدد أبياتها تسع وثلاثون الفا وتسع مائة وتسعون بيتا من الشعر ، وعدد الشعراء الذين اختار لهـم مائتان واربعة وستون شاعرا ، وعدد قصائدهم الف واحدى وخمسون قصيدة ، والذي يتأمل في هذا العدد يجد مدى العدد الضخم من الشعر والشعراء اذا قيس بما هو موجود في كتب المجاميع الشعرية الاخرى امثال المفضليات والاصمعيات والاختيارين .

وأهمية منتهى الطلب لا تقتصر على الكمية الشعرية التي احتواها ، أو العدد الهائل من الشعراء ، وانما يعود الى ما احتواه من شعر خلت منه دواوين الشعراء المطبوعة ، ومن شعراء لم تذكر لهم كتب الادب الا الابيات القليلة ، أو شعراء لم نجد لهم في هذه المصادر ما يعين على اسـتجلاء شخصيتهم ، أو الكشف عن قدرتهم من خلال الابيات المفـردة المتناثرة في هذه المصادر .

ومنتهى الطلب هذا ــ كما يقول جامعه ــ « كتاب جمعت فيه ألف قصيدة اخترتها من اشعار العرب الذين يسـتشهد باشعارهم ، وسميته منتهى الطلب من اشعار العرب ، وجعلته عشرة أجزاء . وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الاوراق ، وادخلت فيها قصائد المفضليات وقصائد الاصمعي التي اختارها ونقائض جرير والفـرزدق والقصائد التي ذكرها ابو بكر بن دريد في كتاب له سـماه الشوارد وخير قصائد هذيل والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات ، ولم اخل بذكر أحد من شـعراء الجاهلية

(٢٣) ينظر التشبيهات لابن ابي عون/٦٧ وديوان المعـاني ١١٩/٢ ومجموعة المعاني /١٨٣ وحماسة ابن الشجري /٧٠٢ وقد نسب البيت خطأ في التشبيهات لابن الخطيم وهو خطأ وقال المحقق في الهامش « غير موجود في ديوان قيس بن الخطيم وقيل انه الخطيم الخزرجي وهو خطأ ايضا فهو الخطيم المحرزي . أما أبو هلال فنسبه الى ابن الخطيم وهو خطأ أيضا وقد حقق النسبة الدكتـور ناصر الدين الاسد في ديوان قيس بن الخطيم فصوب اوهام المتقدمين ، ينظر الديوان /١٦٧ .

والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم الا من لم اقف على مجموع شعره ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها »(٢٤) .

وقد وصل من هذه الاجزاء العشرة ثلاثة اجزاء ، واخيرا عثر على المجلد الثالث في مكتبة ييل (Yale) في الولايات المتحدة ، ويعكف على دراسته الباحث العراقي الدكتور محمد باقر علوان ، وقد صور لي منه اشعار بعض الشعراء الذين اوشك ان انتهي من تحقيق دواوينهم فله شكري .

وفي العثور على المجلد الثالث يكون ما وصل الينا من الكتاب قرابة النصف ولعل الايام تسعفنا في العثور على القسم الاخر الذي سيقدم للدارسين أكبر مادة شعرية .

يقع شعر الخطيم في الاوراق (١٢١ـ١٢٥) من منتهى الطلب من نسخة (لاله لي) ورقمها ١٩٤١ ومصورتها في معهد احياء المخطوطات (جامعة الدول العربية) وهي ثلاث قصائد الاولى في ثلاثة وستين بيتا ، والثانية في ستين بيتا والثالثة في ستة وعشرين بيتا(٢٥) .

ويعد بلدان ياقوت المصدر الثاني من مصادر شعر الخطيم ، فقد استشهد له بخمسة أبيات من القصيدة الاولى ، وبسبعة أبيات من الثانية ، وانفرد بايراد خمسة أبيات من غير قصائد منتهى الطلب . استشهد بها في مواضع متباعدة وانفرد أبو زيد الانصاري في نوادره بايراد بيتين ، تابعه في ايرادها الخالديان في الاشباه والنظائر ، ونسباهما للمرار بن بديل العبشمي ، وتتوزع مراجع شعره ـ وهي قليلة ـ بين مجموعة المعاني الذي استشهد له في موضعين . وكتاب التشبيهات الذي استشهد له في موضع واحد ومثله ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ، وابن الشجري في الحماسة ، والراغب في المحاضرات .

أما حماسة ابي تمام فقد احتوت قطعة واحدة نسبت سهوا في شرح المرزوقي الى الخطيم وصححت نسبتها في شرح المرزوقي ، وبزيادة بيتين أوردها البصري في حماسته .

ان انهاء دراسة الخطيم المحرزي ومحاولة جمع ما توفر من شعره تمثل الحلقة الثالثة في مجال المحاولة التي ابذلها في جمع شعر اللصوص الذي يمثل جانبا انسانيا مهما من جوانب الشعر العربي . بعد ان جمعت شعر مالك بن الريب وعبيد بن ايوب ، وسوف احاول ـ ان شاء الله ـ ان اضيف الى هؤلاء مجموعة اخرى من الشعراء لعل في توفير شعرهم ما يعيد على الدارسين بالنفع .

ولا يفوتني في الختام ـ وانا انهي هذه الدراسة ـ من تقديم شكري الى الاخ الكريم الاستاذ محمد جبار المعيبد الذي قدم لي قائمة بما توفر لديه من مواضع شعر الشاعر فله شكري والسلام .

---

(٢٤) محمد بن مبارك بن محمد بن محمد بن ميمون . منتهى الطلب . الورقة /٦ نسخة مصورة في مكتبتي .

(٢٥) من الجائز ان يكون جامع منتهى الطلب قد اعتمد في أشعار الخطيم كتاب اشعار اللصوص للسكري ، لانه أورد مجموعة من اشعار اللصوص امثال عبيد بن ايوب والسمهري اللص وجحدر بن معاوية اللص والقتال وفي حديثه عن عبيدالله بن الحر قال : « وجعله السكري من اللصوص ولم يكن لصا .. » وهي عبارة توحي بالاعتماد على الكتاب المذكور ولكنه لم يدخله ضمن المجاميع التي أحصاها في مقدمته ..

شعر الخطيم المحرزي

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة /١٢١ .

[١]

وقال الخطيم المحرزي من بني عبشمس وهو من اللصوص يستعطف قومه وهو مسجون بنجران(١) .

[من الطويل]

١ ـ أبت لي سعد أن اضام ومالك
وحي الرباب والقبائل من عمرو
٢ ـ وان ادع في القيسية الشم تأتني
قروم تسامى كلهم باذخ القدر
٣ ـ وان تلق ندماني يخبرك انني
ضعيف وكاء الكيس لم أغذ بالفقر
٤ ـ وتشهد لي العوذ المطافيل انني
أبو الضيف اقري حين لا احد يقري
٥ ـ فلولا قريش سلكها ما تعرضت
لي الجن بله الانس قد علمت قدري
٦ ـ وما ابن مراس حين جئت مطرداً
بذي علة دوني ولا حاقد الصدر
٧ ـ عشية اعطاني سلاحي وناقتي
وسيفي جَدىً من فضل ذي نائل غمر
٨ ـ خليلي الفتى العَكْلي لم ار مثله
تحلب كفاه الندى شنائع القدر
٩ ـ كأن سهيلا ناره حين أوقدت
بعلياء لا تخفى على احد يسري
١٠ـ وتيهاء مِكْثالٍ اذا الليل جنَّها
تزمل فيها المدلجون على حذر
١١ـ بعيدة عين الماء تركض بالضحى
كركضك بالخيل المقربة الشقر
١٢ـ فلاةٍ يخاف الركب ان ينطقوا بها
حذار الردى فيها مهولة قفر
١٣ـ سريع بها قول الضعيف الا اسقني
اذا خب رقراق الضحى خبب المهر
١٤ـ سمت لي بالبين اليماني صبابة
وانت بعيد قد نأيت عن المصر
١٥ـ أتيح لذي بثٍّ طريد تعوده
هموم اذا ما بات طارقها يسري
١٦ـ بنجران يقري الهم كل غريبة
بعيدة شأو الكلم باقية الاثر
١٧ـ يمثلها ذو حاجة عرضت له
كئيب يؤسي بين قرنة والفهر(٢)
١٨ـ فقال وما يرجو الى الاهل ردةً
ولا أن يرى تلك البلاد يد الدهر
١٩ـ لعمرك اني يوم نعفِ سويقةٍ
لمعترف بالبين محتسب الصبر
٢٠ـ غداة جرت طير الفراق وانبأت
بنأي طويل من سليمى وبالهجر
٢١ـ ومرت فلم يزجر لها الطير عائف
تمر لها من دون أطلالها تجري
٢٢ـ سنيحا وشر الطير ما كان سانحا
بشؤمي يديه والشواجح في الفجر
٢٣ـ فماانسَ مِلْ أشياء لاانسَ طائعا
وان اشقذتني الحرب الا على ذكر
٢٤ـ عيوف الذي قالت : تعز وقدرات
عصى البين شقت واختلافا من النجر
٢٥ـ عليك السلام فارتحل غير باعد
وما البعد الا في التنائي وفي الهجر
٢٦ـ وعفت لجفن العين جائل عبرة
كما ارفض نجم من جمان ومن شذر
٢٧ـ تهلل منها واكف مطرت به
جموم بملء الشأن مائحة القطر
٢٨ـ وقالت تعلم ان عندي معشرا
يرونك ثأرا أو قريبا من الثأر
٢٩ـ فقلت لها اني ستبلغ مدتي
الى قدر ما بعده لي من قدر
٣٠ـ الا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بأعلى بُلَيٍّ ذي السلام وذي السدر
٣١ـ وهل اهبطن روض القطا غيرخائف
وهل اصبحن الدهر وسط بني صخر
٣٢ـ وهل أسمعن يوما بكاء حمامة
تنادي حماما فيذرى تنضب خضر
٣٣ـ وهل أرين يوما جيادي أقودها
بذات الشقوق او بأنقائها العفر
٣٤ـ وهل تقطعن الخرق بي عيدهية
نجاة من العيدي تمرح للزجر
٣٥ـ طوت لقحا مثل السرار ونشرت
بأصهب خطار كخافية النسر

(١) في هامش المخطوطة تعليق يقول : وبنو محرز بطن من عكل . ونجران هذه هي نجران اليمن .

(٢) في الهامش تعليق يقول : موضعان ولم أجدهما في بلدان ياقوت ولا معجم ما استعجم وانما وجدت « فرنة » .

٣٦ـ هبوع اذا ما الريم لاذ من اللظى
بأول فيءٍ واستكن من الهجر(٣)
٣٧ـ وباشر معمور الكناس بكفه
الى أن يكون الظل أقصر من شبر
٣٨ـ وقد ضمرت حتى كأن وضينها
وشاح عروس جال منها على خصر
٣٩ـ حديثة عهد بالصعوبة ديثت
ببعض الركوب لا عوان ولا بكر
٤٠ـ تخال بها غبٌ السرى عجرفية
على ما لقين من كلال ومن حسر
٤١ـ ولو مرَّ ميلٌ بعد ميلٍ واصبحت
عتاق المطايا قد تفادرن بالفتر
٤٢ـ وهل أرين بين الخفيرة والحمى
حمى النهر او يوما باكثبة الشَّعر
٤٣ـ جميع بني عمي الكرام واخوتي
وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر
٤٤ـ اخلائي لم يشمت بنا ذو شناءة
ولم تضطرب مني الكشوح على غمر
٤٥ـ ولا منهم حتى دعتنا غواننا
الى غاية كانت بأمثالنا تزري
٤٦ـ اتيناهم اذ اسلمتهم حلومهم
فكنا سواءً في الملامة والعذر
٤٧ـ فلأياً بلأيٍ ما نزعنا وقبله
مددنا عنان الغي متسقا يجري
٤٨ـ فكنا لاقوام عظاتٍ وقطعت
وسائل قربى من حميم ومن صهر
٤٩ـ لحى الله من يلحى على الحلم بعدما
دعتنا رجال للفخار وللعقر
٥٠ـ وجاءوا جميعا حاشدين نفيرهم
الى غاية ما بعدها ثمَّ من امر
٥١ـ وقلت لهم أن ترجعوا بعد هذه
جميعا فما أمي بأم بني بدر
٥٢ـ قدحنا فأورينا على عظم ساقنا
فهل بعد كسر الساق للعظم من جبر
٥٣ـ بني محرز هل فيكم ابن حمية
يقوم ولو كان القيام على جمر
٥٤ـ بما يؤمن المولى وما يراب الثأى
وخير الموالي من يريش ولا يبري
٥٥ـ كما انا لو كان المشرد منكم
لأبليت نُجحاً أو لقيت على عذر
٥٦ـ لأعطيت من مالي واهلي رهينة
ولا ضاق بالاصلاح مالي ولا صدري

(٣) في الهامش تعليق يقول : الهاجرة .

٥٧ـ بني محرز من تجعلون خليفتي
اذا نابكم يوما جسيما من الامر
٥٨ـ بني محرز كنتم وما قد علمتم
كفارية خرقاء عيت بما تفري
٥٩ـ رات خللا ما كله سدَّ خَرزها
واثأى عليها الخرز من حيث لا تدري
٦٠ـ بني محرز ان تكنس الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قبوركم قبري
٦١ـ فقد كنت انهي عنكم كل ظالم
وادفع عنكم باليدين وبالنحر
٦٢ـ مُعنىً اذا خصم أدلَّ عليكم
بني محرز يوما شددت له أزري
٦٣ـ بحدٍّ سنانٍ يستعد لمثله
ورقم لسانٍ لا عييٍّ ولا هذر

هوامش القطعة الاولى

٢ ـ في حماسة أبن الشجري ٩٣/١ .. قروم تسامى كلها ...
٣ ـ في محاضرات الادباء ٣٦٢/١ وكاء لكيس لم أعد منه بالفقر
٤ ـ في حماسة ابن الشجري ٩٤/١ . وتشهد لي العود . وهو تصحيف .
٣٢ـ في بلدان ياقوت ٧٣٦/١ في ذرى قصب خضر .
٣٤ـ في بلدان ياقوت ٧٣٦/١ وهل يقطعن
تجاه من العبدي تمرج للزجر
والعجز كله محرف .
٤٢ـ في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ ، ٢٩٩/٣ حمى النير يوما أو باكثبة الشعر
٤٣ـ في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ جميع بني عمرو ...

[٢]

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة / ١٢٣ .

وقال الخطيم أيضاً لسليمان بن عبدالملك وقد استجار به :

[من الطويل]

١ ـ وقائلة يوما وقد جئت زائرا
رأيت الخطيم بعدنا قد تخددا
٢ ـ اما ان شيبي لا يقوم به فتى
اذا حضر الشح اللئيم الضفنددا
٣ ـ فلا تسخري مني امامة ان بدا
شحوبي ولا ان القميص تقددا
٤ ـ فاني بأرض لا يرى المرء قربها
صديقا ولا تحلي بها العين مرقدا
٥ ـ اذا نام أصحابي بها الليل كله
أبت لا تذوق النوم حتى ترى غدا

٦ ــ أتذكر عهد الحارثية بعدما
نأيت فلا تستطيع ان تتعهدا
٧ ــ لعمرك ما احببت عزة عن صبا
صبته ولا تسبي فؤادي تعمدا
٨ ــ ولكنني ابصرت منها ملاحة
ووجها نقيا لونه غير انكدا
٩ ــ من الخفرات البيض خمصانة الحشا
ثقال الخطا تكسو الفريد المقلدا
١٠ــ فقد حليت عيني بها وهويتها
هوى عرض مازال مذ كنت امردا
١١ــ كأن من البردي ريان ناعما
بحيث ترى منها سوارا ومعضدا
١٢ــ تهادى كعوم الرك كعكعة الصبا
بأبطح سهل حين تمشي تأودا(١)
١٣ــ يهيم فؤادي ما حييت بذكرها
ولو انني قدمت هام بها الصدا
١٤ــ لها مقلتا مكحولة أم جؤذر
تراعي مهاً اضحى جميعا وفردا
١٥ــ واظمى نقيا لم تفلل غروبه
كنور اقاح فوق اطرافه الندى
١٦ــ لدى ديم جادت وهبت له الصبا
تلقين أياما من الدهر اسعدا
١٧ــ فلاوالذي من شاء أغوى فلم يكن
له مرشد يوما ومن شاء ارشدا
١٨ــ يمين بلاءٍ ما علمت بسيي
عليها وان قال الحسود فأجهدا
١٩ــ واني لمشتاق الى الله اشتكي
غليل فؤاد قد يبيت مسهدا
٢٠ــ وما لامني في حب عزة لائم
من الناس الا كان عندي من العدا
٢١ــ ولا قال لي احسنت الا حمدته
بما قال لي ثم اتخذت له يدا
٢٢ــ فلو كنت مشغوفا بعزة مثل ما
شغفت بها ما لمتني يا ابن اربدا
٢٣ــ اذن لازدهاك الشوق حتى ترى الصبا
من الجهل في ادنى المعيشة احمَدا

٢٤ــ وما لمتني في حبها بل عذرتني
فأصبحت من وجد بعزة مقصدا
٢٥ــ ليالي َ اهلانا جميعا وعيشنا
ربيع وشِعْبَا الحي لم يتبددا
٢٦ــ لها بين ذي قار فرمل مخفق
من القف او من رملة حين اربدا
٢٧ــ أواعس في برث من الارض طيب
واودية ينبتن سدرا وغرقدا
٢٨ــ أحب الينا من قرى الشام منزلا
وأجبالها لو كان ان اتوددا
٢٩ــ أعوذ بربي أن ارى الشام بعدها
وعمّان َ ما غنى الحمام وغردا
٣٠ــ فذاك الذي استنكرت يا أم مالك
وأصبحت منه شاحب اللون اسودا
٣١ــ واني لماضي الهم ّ لو تعلمينه
وركاب أهوال يخاف بها الردى
٣٢ــ ومسعر حرب كنت ممن اشبها
اذا ما الجبان النكس هاب وعردا
٣٣ــ وازداد في رغم العدو لجاجة ً
وأمكن ُ من راس العدو المهندا
٣٤ــ ويعجبني نص القلاص على الوجا
وان سِرن َ شهرا بعد شهر مطرّدا
٣٥ــ عواسف خرق مالهن تئية ً
اذا ملن في سهب تعرفن قرددا
٣٦ــ يخضن بأيديهن بيداً عريضة ً
وليلا كأثناء الرويزي اسودا
٣٧ــ اذا مال جِلْءُ الليل واطرق الكرى
اثرن قطاً من آخر الليل هجدا
٣٨ــ ورحلي على هوجاء حرف شملة
ذمول اذا التاث المطي ُّ وهوّدا
٣٩ــ موثقة الانساء مضبورة القرى
تسوم بهاد في القلادة اقودا
٤٠ــ على مرسات الجندل الصم رفعت
بهن كما رَفّعْت َ ظلا ممددا
٤١ــ لها عُجُز ٌ تمت ورجل قبيضة
تشل يداً ما الخطو فيها باحردا
٤٢ــ بها أثر في موضع النسع لاحب ٌ
ومصدر فضل النّسع من حيث أوردا
٤٣ــ جرى النسع منصباً من الرحل واردا
فلما مضى من خلفه الرحل أصعدا

(١) قال المفضل بن سلمة في الفاخر وهو يقدم للبيت /٢٩٧ : قال الخطيم بن نويرة المحرزي يصف غديرا شبه مشي المراة به .

٤٤ــ الى كاهل منها اذا شــد فوقه
بأحبُـلهِ الميَس' العـلافيُ أوفــدا

٤٥ــ كأن امام الرحل منهـا وخلفـه
صفيحا لدى صفقي قراهـا مسندا

٤٦ــ سفينة برٍّ تحت أودع لا تنــي
براكبها تجتــاب ســهبا عمــردا

٤٧ــ اذا امتد أثناء الزمام ازدهت به
كما يزدهي الذعـر الظليم الخفيـددا

٤٨ــ تذاءَب' احيانا مراحاً وحـدّةً
زهتهـا فمـا باليــت الا تزيّــدا

٤٩ــ بذي شقة جواب أرض تقاذفت
به ســار حتى غـار ثمت انجــدا

٥٠ــ اعذني عيـاذاً ياســليمان انني
أتيتك لمـا لم اجـد عنـك مُقْعَــدا

٥١ــ لتؤمنني خـوف الذي أنا خائف
وتبلعنـي ريقــي وتنظـرني غــدا

٥٢ــ فرارا اليك من ورائي ورهبــة
وكنت احـق النـاس أن اتعمــدا

٥٣ــ وانت امرؤٌ عودت نفسـك عادة
وكل امرئٍ جـارٍ على ما تعــودا

٥٤ــ تعودت الا تُسليمَ الدهرَ خائفا
اتـاك ومن آمنتــه امِـن الــردى

٥٥ــ اجرت يزيد بن المهلب بعــدما
تبين من بـــاب المنيــة مـوردا

٥٦ــ ففرجت عنه بعـدما ضاق أمره
عليه وقـد كان الشـريدَ المطـردا

٥٧ــ سننت لأهل الأرض في العدل سنة
فغار بلاءُ الصدق منـك وانجــدا

٥٨ــ وانت المُصفّى كل امرك طيبٌ
وانت ابن خـير النـاس إلا محمــدا

٥٩ــ وانت فتى اهل الجـزيرة كلهـا
فعالا واخلاقــا واســمحهم يــدا

٦٠ــ وانت من الأعياص في فرع نبعةٍ
لها ناضر يهتـز مجــدا وســؤددا

هوامش القطعة الثانية

٢٦ــ في بلدان ياقوت ٤٤٣/٤ — او من رملة حين ابــــردا
٢٨ــ في بلدان ياقوت ٤٤٣/٤ — واجبالها لو كان أنأى توددا
٣٠ــ في بلدان ياقوت ٧٢٠/٣ — فأصبحت منــــه
٣١ــ في بلدان ياقوت ٧٢٠/٣ — واني لماضي العزم ...

[٣]

قال صاحب منتهى الطلب في أشـعار العرب الورقة /١٢٤ .
وقال أيضا :

[من الطويل]

١ ــ نزلنا بمخشيٍّ الردى آجن الصَّرى
تنــاذره الركبــان حـدب المُفَاتَلِ

٢ ــ غشاشاً [حلا] حتى روين وعلّقوا
اداوي ســقوا فيهـا ولمّـا تبلّل(١)

٣ ــ واشعث راض في الحياة بصحبتي
وان متُ آسى فعل خرق شـمردل

٤ ــ تبدل بالنُّعمى بئيساً وشَـقّه'
مخاوف تزري بالفـرير المغفــل

٥ ــ طريدِ مَطـا حتى كأن ثيابـه
على جلد مسجون وان لم يكبــل

٦ ــ دنا لي فأعداني وقال وقد بـدت
شواهد مشـهور اغـرَّ محجّــل

٧ ــ وقال وقد مالت به نشـوة الـكرى
نعاساً ومن يعلق سرى الليـل يكسـل

٨ ــ انخ نعط انضاء النعاس دواءهـا
قليلا ورفـه عـن قلائـص كـلَّل

٩ ــ فقلت له كيف الاناخة بعــدما
حدا الليل عريـان الطريقـة منجلي

١٠ــ الا ترهب الاعداء أن يمحلوا بنـا
او البعــث من ذاك الامــير المـوكل

١١ــ واشعث قد القى الوسادة فانطوى
الى دفـ' منجـاة الذراعـين عيهــل

١٢ــ وقد ضمرت حتى كأن وضينهـا
وشـاح بكفي ناهــدٍ لم تســربل

١٣ــ وهن يقطعن اللغـــام كأنــه
سبائخ من قطــن بـأذرع غــزّل

١٤ــ فألقى بثنييـه على شرخ رحلهـا
اخو قفــرات ثم قــال لهــا حَـلِ

١٥ــ اذا وثبت من مبـرك غادرت به
دما من اظـلٍ راعـفٍ لـم يُنَعَّــلِ

١٦ــ الم تعلمي يا عمــرك الله انني
اُضمن سـيفي حقَّ ضيفي ومرجـلي

---

(١) كذا في المخطوطة ولعل تحريفا او تصحيفا اعترى اللفظة .

١٧ـ اذا الشول راحت وهي حدب ظهورها
يَسُفْنَ مُقَذّى مُقْرِمٍ لم يُجَزَّلِ
١٨ـ فأجلت وقد أمكنته من عقـيرة
تخيرتهـا سُـمنى أيانق بُزّل
١٩ـ أفزّ نساً من بعد ساق أثرّهـا
لعاب الفرنـد الخـالص المتنخـل
٢٠ـ ولست بقوال اذا قـال صاحبـي
لك الخير مرني انت ماشئت افعـل
٢١ـ ولكنني أقضي لـه فأريحـه
ببزلاء تنجيـه من الشـك فيصـل
٢٢ـ وداعٍ دعا والليل من دون صوته
بهيـم كلون السـندس المتجـلل
٢٣ـ دعا دعوة عبدالعزيز وعرقـلاً
ومـا خـير هيجـا لا تحش بعـرقل
٢٤ـ الا أيها الغـادي لغـير طريقـه
تنـاه ولمـا تعـي بالمتنـزل
٢٥ـ ولما اقل فاها لفيـك فانمـا
ختلت رقيب الوحش غـير مختـل
٢٦ـ لعمرك ان المستثير عـداوتي
لكا لمتبغي الثكل من غـير منكـل

هوامش القطعة الثالثة

٤ ـ في الحماسة البصرية ٢/٣٦٠ .. تبدل بالغمى . وهوتحريف
٨ ـ في الحماسة البضرية ٢/٣٦٠ أنخ تعط .. عن قلائص ذبل
وفي حماسة ابي تمام (المرزوقي) ٤/١٨١٤ قلائص ذبل
٢٠ـ في أساس البلاغة /١٩ ألم تر أني لا اقول لصاحب اذا قال مرني
٢١ـ في أساس البلاغة /١٩ ولكنني أفري له

[٤]

قال الخطيم العكلي :

[من الطويل]

١ ـ بني ظالم ان تظلمـوني فانني
الى صالح الأقـوام غـير بغيـض
٢ ـ بني ظالم ان تمنعوا فضل ما بكم
فان بسـاطي في البـلاد عريض(١)
٣ ـ فان «المعا» لم تسكنوا الدهر قعزةً
به العلجـان المـرءُ غـير اريض(٢)

[٥]

قال الخطيم العكلي اللص :

[من الطويل]

١ ـ امن عهد ذي عهد بحومانة اللوى
ومن طلل عـاف ببرقـة عـاذب
٢ ـ ومصرع خيم في مقام ومنتـأى
ورمد كسـحق المرنباني كاتبِ(٣)

[٦]

وقال القالي : وانشدنا ابو مُحَلِّم للخطيم بن نويرة العكلي :

[من الطويل]

١ ـ الا يالقومي للشباب الذي مضى
حميدا واخدان الصبا والكواعـب
٢ ـ وللعُصر الخالي وللعيش بهجـة
وللقلب اذ يهوي هوى ابنة ناشـب
٣ ـ وجاراتها اللاتي كـأن عيونهـا
عيون المهـا يفقهننـا بالحواجب(٤)
٤ ـ حديثا مسدى من نسيج ينرنـه
من الود قـد يلحمنـه بالمعـاتب

[٧]

قال الخطيم بن محرز احد بني عبدشمس وادرك الاسلام :

[من الطويل]

١ ـ ابا قطريٍّ لا تصـارع فاننـي
ارى قرنك الأعلى وايـاك أسـفلا
٢ ـ اراك اذا ناوات قرنـا سـبقته
الى الارض واستسلمت للموت اولا(٥)

---

(١) في البيت اقواء .

(٢) يوم المعا من أيام العرب قتل فيه عبدالله بن الرائش الكلبي .

(٣) المرنباني : الفرو وجلود الثعالب ، وكاتب اراد كاتب اللون .

(٤) جاء بعد البيت . قال أبو الحسن الاخفش : معنـاه يقبضنها .

(٥) وذكر الانصاري بعد البيتين فقال : ورواه أبو العباس محمد بن يزيد : واستبسلت .

تخريج القصــائد

[١]

الابيات [١-٦٣] في منتهى الطلب في اشعار العــرب الورقة / ١٢١-١٢٢ . والابيات [١ ، ٢ ، ٤] في حماســة ابن الشجري ١/٩٣-٩٤ . والبيت الثالث في محاضرات الادباء ١/٣٦٢ والتاسع في مجموعة المعاني /١٥٠ والابيات [٣٠-٣٤] في بلدان ياقوت ١/٧٣٦ والبيت [٣١] في بلدان ياقوت ٢/٨٥٦ والابيات [٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠] في مجموعة المعــاني /١٨٣ . والبيت [٣٨] في تشبيهات ابن ابي عون /٦٧ وقد نسب خطا الى ابن الخطيم وتابعه في هذه النسبة العسكري في ديــوان المعاني ٢/١١٩ ونسبه في حماسة ابن الشجري /٧٠٢ الى الخطيم الحرزي وهو تحريف المحرزي . [ووهم محققا الحماسة في هامش البيت حيث ذكرا سمط اللالي : ٤٠ والصحيح : ان اشارة الى الابيات وردت في الذيل /٤٠] . والبيتان [٤٢ ، ٤٣] في بلدان ياقوت ٢/٣٤٤ ، والبيت [٤٢] في بلدان ياقوت ٣/٢٩٩ .

[٢]

الابيات [١-٦٠] في منتهى الطلب في اشعار العــرب الورقة /١٢٣ . والبيت [١٢] في الفاخر /٢٩٧ ، والابيات [٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨] في بلدان ياقوت ٤/٤٤٣ ، والبيت [٢٧] في بلدان ياقوت ١/٧٠٣ والابيات [٢٩ ، ٣٠ ، ٣١] في بلدان ياقوت ٣/٧٢٠ .

[٣]

الابيات [١-٢٦] في منتهى الطلب في اشــعار العرب الورقة /١٢٤ . والابيات [٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩] في الحماسة البصرية ٢/٣٥٩-٣٦٠ ووهم صاحب الحماسة البصرية فادخل بيتين مختلفين وزنا وشكلا في آخر الابيات . واعتبرهما من ابيات القصيدة وهما غير مذكورين في ابيات القطعة . والابيات [٧ ، ٨ ، ٩] في حماسة أبي تمام المرزوقي ٤/١٨١٤ ونسبت الى حطيم وهو تصحيف ، والبيتان [٢٠ ، ٢١] في أساس البلاغة /١٩ ونسبا لبعض فتاكهم .

[٤]

الابيات [١-٣] في بلدان ياقوت ٤/٥٧٠ .

[٥]

البيتان في بلدان ياقوت ١/٥٨٤ .

[٦]

الابيات في ذيل الامالي /٨٣ .

[٧]

البيتان نسبا للخطيم المحرزي في نوادر ابي زيد /١١٥ ونسبا في اشباه الخالديين ١/٢٦٥ للمــراد بن بذيــل العبشمي .

مراجع تحقيق الشعر

البكري : ابو عبدالله بن عبدالعزيز (ت ـ ٤٨٧هـ) .

١ ـ سمط اللالي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٣٥٤-١٩٣٦

ابو تمــام : حبيب بن أوس الطائي (ت ـ ٢٣١ هـ) .

٢ ـ الحماسة ـ شرح المرزوقي (ت ـ ٤٢١) نشره احمد امين وعبدالسلام هارون ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ١٣٧١-١٩٥١ .

الخالديان : ابو بكر محمد بن هاشم (ت ـ ٣٨٠) وابو عثمان سعيد بن هاشم (ت ـ ٣٩١) .

٣ ـ الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٥٨-١٩٦٥ .

الراغب الاصفهاني : حسين بن محمد (ت ـ ٥٠٢هـ) .

٤ ـ محاضرات الادباء ـ طبعة قديمة ـ ١٢٨٧هـ .

الزمخشري : جارالله محمود بن عمر (ت ـ ٥٣٨) .

٥ ـ أساس البلاغة ـ دار الكتب ـ ١٣٤١ .

أبو زيد الانصاري : سعيد بن أوس بن ثابت (ت ـ ٢١٥هـ) .

٦ ـ النوادر في اللغة . دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٢٨٧-١٩٦٧ .

ابن الشجري : هبةالله بن علي بن حمزة العلوي الحســني (ت ـ ٥٤٢) .

٧ ـ الحماسة الشجرية ـ تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي . منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٠ .

العسكري : أبو هلال : الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت ـ ٣٩٥)

٨ ـ ديوان المعاني ـ القاهرة ـ ١٣٥٢ .

ابن أبي عون : ابراهيم بن المنجم الانباري (ت ـ ٣٢٢) .

٩ ـ التشبيهات ـ تحقيق محمد عبدالمعيد خان ـ كمبردج ـ ١٩٥٠ .

القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ـ ٣٥٦)

١٠ـ الامالي والذيل ـ دار الكتب ـ القــاهرة ـ ١٣٤٤ .

ابن مبارك : محمد بن المبارك بن محمد بن ميمــون (من رجال القرن السادس الهجري) .

١١ـ منتهى الطلب من أشعار العرب ـ نســخة مصورة من مخطوطة مكتبة الســليمانية باستانبول .

مجهول : مؤلف مجهول .

١٢ـ مجموعة المعاني . القسطنطينية ـ الجوائب . ١٣٠١هـ .

المفضل بن سلمة : أبو طالب المفضل بن ســلمة بن عاصــم (ت ـ ٢٩١) .

١٣ـ الفاخر ـ تحقيق عبدالعليم الطحاوي ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٠-١٩٦٠

ياقوت : ابن عبدالله الرومي الحموي (ت ـ ٦٢٦) .

١٤ـ معجم البلدان ـ تحقيق فيستنفيلد ـ لايبزك ـ ١٨٦٦-١٨٧٠ .